

المؤسسة الإعلامية وتنشئة الشباب في العالم العربي: بعض النقاط على الحروف

الأستاذ فريد مرحوم

جامعة تلمسان

مقدمة:

بالخصوص، بل نجدها أحيانا تتنافس معهما في نقل القيم و ترتيبها، و هدمها و خلخلتها، و تسهم بشكل كبير في إعادة بنائها بشكل يجعل "ثقافة الشباب"² تتمايز عن الثقافة العامة للمجتمع، تلك التي يحملها و يحميها و يعززها و يلقنها مجتمع الكبار.

نحن نفترض من البداية أن تقديم وسائل الإعلام و الاتصال كـ "مرحلة من مراحل التنشئة الاجتماعية"، في علم اجتماع الإعلام و الاتصال العربي³، زيادة على ترتيبها في "المرتبة الثالثة" بعد الأسرة أولا و المدرسة ثانيا، مما يوحي بأنها في تكامل و تناغم تام معهما هو ما تسبب -جزئيا- في تصويرها كـ "خطر محذوق" ذي تأثير سلبي (فقط)، مما قد يضيع على المجتمعات العربية فرصة الاستفادة من استعمالاتها و استخداماتها الإيجابية. فالمجتمعات العربية مجتمعات "أبوية-ذكورية"، تركز هيمنة الآباء على الأبناء و هيمنة الرجال على النساء، و تسعى جاهدة إلى الحفاظ على الاستقرار المرادف للاستمرار. و يكفي أن ننظر إلى الأنظمة السياسية العربية التي تقدم لنا عبر مؤسساتها الإعلامية التي تتحكم بها، نسب تمثيل الشباب و النساء في الحياة السياسية (الحكومات و البرلمانات) على أنها إنجازات كبيرة تدشن بها عهودا جديدة، أو هي انطلاقات في طريق التغيير و التطوير غير المسبوق من أجل التناغم أو التماثل مع الديمقراطية و الحداثة (على الطريقة الغربية).

1. وسائل الإعلام و الاتصال كمؤسسة

للتنشئة الاجتماعية (المؤسسة الإعلامية):

إن وظيفة علم الاجتماع مثله مثل العلوم الأخرى، هي أن يكشف القناع عن الأمور الخفية: أن يكشف

تقدم وسائل الإعلام و الاتصال في العلوم الاجتماعية باعتبارها ظاهرة ميزت العصر الحديث، و يتم تصويرها كذلك كـ "ثورة" مست -أو خلخلت- جميع جوانب الحياة الاجتماعية، بدرجات متفاوتة في كل أقطار "العالم المعلوم"، و بالخصوص العلاقات الاجتماعية و الاجتماع البشري (les sociabilités)، والعلاقات الجيلية، و علاقات الهيمنة و التبعية بين "عالم متقدم"، و "آخر متخلف" و "آخر سائر في طريق النمو"... فهي في نفس الوقت من أسباب العولمة و هي كذلك من إفرازاتها.

لقد شاع الحديث في الحس المشترك للمجتمع الجزائري و المجتمع العربي عموما عن تأثير وسائل الإعلام و الاتصال على الأطفال و المراهقين و الشباب¹، إلى درجة تصوير وسائل الإعلام كـ "خطر محذوق" بالمجتمعات العربية (الشابة)، حيث أصبحت بصورة عامة، تمثل "شماعة" تُعلّق عليها كل المشاكل و الممارسات و السلوكيات السلبية في المجتمعات العربية، و هي الممارسات التي يحاكمها الكبار في حق الشباب و المراهقين.

نحن نريد من خلال هذه الورقة أن نضع بعض النقاط على الحروف، إذ ننطلق من إثارة التساؤل حول وسائل الإعلام و الاتصال كـ "مؤسسة" من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، و عن أدوارها و وظائفها في هذه الصيرورة، التي تختلف و تتناقض كما قد تتكامل مع الأدوار التي تؤديها الأسرة و المدرسة

مجتمع الشباب. ولنبداً بهذا السؤال: ألا يوجد العنف بأشكاله المختلفة في كل تفاصيل الحياة اليومية؟ حيث يتلقى الطفل كمّاً معتبراً من "التعنيف" -في شكله المعنوي و النفسي و اللفظي بالخصوص- من طرف الوالدين و الإخوة الأكبر سناً، و من طرف المعلم أو المدير أو المشرف و الزملاء في المدرسة؛ و يتم زجر هذا الطفل، من أجل تقويم سلوكاته، بعنف -مفرط أحياناً- من طرف الكبار في "الشارع"⁸.

في الواقع، إن الدور الذي تلعبه المؤسسة الإعلامية بمحتوياتها في تغيير سلوك مجتمع الشباب⁹ و تحويله إلى سلوك معوج أو منحرف، أو غير مقبول و منكر من طرف مجتمع الكبار، هو أنها تساعد على إيقاظ بعض الاستعدادات¹⁰ (من مفهوم الجيلة أو l'Habitus لدى P. Bourdieu) التي تم اكتسابها في سياق التنشئة الاجتماعية التي تحدث في فضائي الأسرة و المدرسة و الفضاء العام بشكل أوسع. فوسائل الإعلام (التلفزيون خاصة) تمكن المشاهد، أيّاً كان، من أن يتفرج على واقعه المعاش، و الذي لا يعي أنه يعيشه عندما يكون في حالة تفاعل مع الآخرين مهما كانوا.

يمكن للمشاهد (الشاب) أن يرى كم أن أباه كان عنيفاً و متسرّعاً في الحكم و العقاب في الوضعية الفلانية، أي أن الآباء يخطؤون كذلك (على الأقل أحياناً)... أن يرى كذلك أن معلمته ليست دائماً منفعة و غاضبة و قاسية، بل حنونة و عطوفة كذلك، بل ضعيفة و مهزومة أمامه (أمام سلوكاته) في حالات أخرى... يمكن لوسائل الإعلام أن تُنبّه المشاهد إلى الضعف -الإنساني الطبيعي- الموجود في كل إنسان، و الذي يتم إخفاؤه أحياناً بالسلوك العنيف، و الصراخ و تكسير الأشياء، و اتخاذ المواقف القاسية و القرارات الاعباطية... كل ذلك إخفاءً للضعف في مواجهة موقف صعب...

باختصار، يمكن لكل منا أن يجد نفسه في محتويات الأفلام و المسلسلات أو القصص التي تعرض على قنوات التلفزيون أو تسمع عبر أمواج إذاعات الراديو...¹¹

الروابط بين المتغيرات، و التي تبدو للحس المشترك غير موجودة، و يوضح المسارات و الصيرورات التي تتغير من خلالها الثقافة و المجتمعات و المفاهيم و الدلالات. هذا التغير الذي يحدث في الأساس في أذهان الفاعلين الاجتماعيين، ليتجسد في سلوكيات فردية و ممارسات جماعية.

غالباً ما تقدم وسائل الإعلام و تأثيراتها في علاقة سببية بين السلوك المعوج أو غير المنتظر و بين تعرض مجتمع الشباب لمحتويات و مضامين هذه الوسائل. و لكن هذا "البتر السببي" ليس بديهياً كما تقدمه لنا الصحافة و السياسيون و الخبراء و القائمون على قطاع التربية⁴، فالتساؤلات التي لا تطرح من طرف هؤلاء، هي على سبيل المثال: هل سلّم مجتمع الكبار (الآباء و الأمهات) من تأثير نفس تلك المحتويات و المضامين أم هم في معزل عن التأثير؟ ما الذي يجعل مجتمع الكبار محصّناً ضد التأثيرات السلبية لوسائل الإعلام و الاتصال؟... إلخ. فربما يكمن الإشكال في العلاقة (الغريبة) بين الجيلين، بعيداً عن سلبيات أو إيجابيات وسائل الإعلام و الاتصال⁵.

يمكن أن نلاحظ ميدانياً، أن أول نتيجة يقدمها الحس المشترك في العالم العربي عندما يتكلم عن تأثير وسائل الإعلام و الاتصال على مجتمع الشباب هي "العنف"، فألعاب الفيديو و الإنترنت تغير سلوك الأطفال (ببراءتهم) إلى العدوانية و العصيان و العنف المجاني الذي لا يستكمل جميع مبرراته. و في مواجهة هذا المجتمع لوسائل الإعلام يتكرر سيناريو تجريمها و "تضخيم" آثارها على مجتمع الشباب بوصفهم "ضحايا"، عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم، أو على الأقل حماية أنفسهم من مخاطرها -المزعومة في الغالب- و التي تحملها المضامين التي يتعرضون لها يومياً عبر وسائط مختلفة، منها ما يمكن مراقبته و منها ما يتجاوز حدود المراقبة و التحكم⁶.

من المؤكد أن هناك علاقة سببية بين الصور العنيفة و السلوك العنيف⁷، و لكن السؤال يجب أن يستهدف مبررات وضع وسائل الإعلام و مضامينها في واجهة أسباب السلوك العنيف أو العدواني لدى

المجتمع... إن الفصل بين (أو بالأحرى إهمال) التأثير (السلبى) و الاستعمال أو الاستخدام يُغفل على الباحث أن واقع الأمر (الظاهرة الاجتماعية) قد يكون شيئاً آخر¹³.

2. في ضرورة المزاوجة بين مقارنة التأثير و مقارنة الاستخدام:

إن سمة أية ظاهرة اتصالية أو اجتماعية تبرز أساساً في علاقتها مع السمة التي تقابلها من الجانب الآخر: كالخير والشر، والسالب والموجب¹⁴ والمعروف المقبول و المنكر المرفوض. فوسائل الإعلام و الاتصال تحمل السالب و الموجب و فيها النفع و الضرر، و هذا التضاد الثنائي قائم في أصل طبيعة هذه الوسائل، و ما يصنع الفرق هو طريقة و غايات استعمالها من طرف الفاعلين الاجتماعيين.

يُمكن هنا أن نقدم الافتراض الذي مفاده: "أن متانة أو صلابة القيم الملقنة في الأسرة و المدرسة"¹⁵، يمكن أن تسهم بشكل فعال في التصدي للتأثيرات السلبية لوسائل الإعلام، و خاصة الإنترنت الذي يحمل بطبيعته "عجزاً قيمياً" واضحاً¹⁶ على الرغم من الخدمات التي يقدمها في مجال نشر العلم المعرفة. و يتوقف الأمر في نظرنا على الاستعمال أو أكثر من ذلك، يتوقف على "الاستخدام"، "لأن التمييز بين المستعمل و المستخدم هو الذي يسمح بتحديد درجة تملك التقنية من قبل الأفراد [...] إذ أن الفرد مستعمل لنظام ما أولاً، و كلاً ما استعمل هذه التقنية بصفة مستقلة إلا و احتاج إلى تجنيد بعض المهارات الإدراكية و التقنية من أجل التحكم في الجهاز التقني؛ الشيء الذي يسمح له بالارتقاء إلى مرتبة المستخدم.

لكن اكتساب المعارف و حسن التدبير التي يتطلبها الشيء التقني ليست آنية و لا هي مسلّم بها، وعليه فإن الاستخدامات هي الممارسات الاجتماعية التي يجعلها التقادم أو التكرار عادية في ثقافة ما..."¹⁷.

إن السؤال الذي يمكن أن نطرحه في هذا السياق، يكمن في الفرق بين "مجتمع الكبار الذي يستعمل تقنيات الإعلام و الاتصال"، في حين أن "مجتمع

إن الدور الذي تلعبه المؤسسة الإعلامية هو أنها تفتح لمجتمع الشباب نافذة واسعة على الواقع الذي يعيش فيه و على "العالم المعلوم" كذلك، و تسهم في تعزيز "ثقافة الشباب" كثقافة فرعية انبثقت -أو تحاول جاهدة الانبثاق- و التمايز و فك الارتباط مع "الثقافة-الأم" للمجتمع¹².

لهذا فنحن نعتبر أن وسائل الإعلام و الاتصال ليست البتة "مرحلة"، و هي لا تتدخل في المرتبة الثالثة، و أن تأثيراتها السلبية -المزعومة في الحس المشترك- على مجتمع الشباب تأتي بالدرجة الأولى من "سوء" أو من "الخطأ" في استعمال مجتمع الكبار لها. إن وسائل الإعلام و الاتصال هي بالفعل "مؤسسة اجتماعية" تلعب دوراً محورياً في التنشئة الاجتماعية، فزيادة على كونها تحمل "الجديد" و "الغريب" و "ما يثير الفضول"، و تجيب على كثير من أسئلة مجتمع الشباب، فإنها تساعدهم على وضع أنفسهم و الفاعلين و من حولهم و الثقافة عموماً بمفهومها الواسع، على محك السؤال و المسألة و حتى المحاكمة. إذ تعمل المؤسسة الإعلامية كمؤسسة اجتماعية على تأطير المجتمع بمختلف شرائحه، و توجيه وعيه و صناعة الرأي العام داخله، و هي بهذا تلعب دور "العنصر المخلخل" لتراتبية هرم القيم الثقافية و العادات و التقاليد و المخيال الاجتماعي، و تساعد مجتمع الشباب في إعادة بنائها و تركيبها بما يتوافق مع المرحلة التي يمرون بها، من أجل إثرائها حتى تستجيب لتلبية حاجاتهم النفسية و الاجتماعية.

من وجهة نظرنا، لا يكفي أن يُنظر إلى مسألة التأثير هذه من جانبها السلبى فقط الذي يجعل مضامين وسائل الإعلام تشكل "خطراً" على مجتمع الشباب؛ فهم "يستعملون"، بل "يستخدمون" وسائل الإعلام و الاتصال لإشباع حاجات نفسية و اجتماعية، عجز أو ربما يرفض مجتمع الكبار توفيرها... فالحقيقة هي أن مجتمع الكبار يراها "خطراً" على مكانته و على ثقافته و على سلطته الأبوية التي يمارسها على مجتمع الشباب حتى يضمن إعادة إنتاج شكل و مضمون

الاستهلاك، إذا كان هذا المستهلك خاملاً (passif) ومستسلماً للتأثير، وسهل الاستهواء والاستدراج¹⁹!! (أليست هذه مفارقة عجيبة؟!!)

من جهة أخرى، فإننا نجد بعض الأفكار السائدة في الحس المشترك عن تأثير وسائل الإعلام والاتصال (خاصة التأثيرات السلبية) قد تمت إعادة إنتاجها في خطاب العلوم الاجتماعية العربية، بشكل آخر - إن لم نقل همّش - الاهتمام بمقاربة الاستخدام وليس فقط الاستعمال، و - حسب رأينا - فإن هذا هو ما أغفل الباحثين عن النظر والتعمق في خصوصيات المجتمعات العربية، و خصائص الثقافة الشبانية فيها²⁰.

فتوسع استخدام وسائل الإعلام والاتصال من طرف الشباب، مع تعذر ذلك على فئة كبيرة من مجتمع الكبار (الآباء و الأمهات)، أسهم - بشكل غير مباشر أحياناً - في خلخلة أو زعزعة استقرار العلاقة الثنائية "هيمنة/خضوع" (المتوترة ضمناً)، التي تتأسس عليها العلاقات و التفاعلات الاجتماعية داخل الأسرة، و المدرسة، و المسجد، ومؤسسة العمل... كمؤسسات للتنشئة الاجتماعية أو التطويع الاجتماعي؛ فهي تسمح للشباب [المؤطرين les institués] بـ "الانزلاق" أحياناً خارج "النظام المأسس"، على الرغم من أن هذا النظام يصبو في الغالب، إلى أن يكون أكثر احتواءً و متعدد الأبعاد و مجعاً؛ فهو يزعج من إفلات جوانب من الحياة الاجتماعية (شريحة الشباب) من تأثيره، كما يزعج من جريان جانب من العلاقات الاجتماعية خارج القنوات التي وضعها من أجل تقنين و ضبط سريانها، لأنه يدّعي تسيير - بل هو يتملّك و يحتكر - وجود و كينونة الأفراد في مختلف مظاهرها حتى يتمكن من تغطية الحقل الاجتماعي بكيته²¹.

في مستوى آخر، يجب أن نرى أن المؤسسة الإعلامية (وسائل الإعلام و الاتصال) تسمح للشباب بالانفتاح على "العالم المعلوم"، و على قيم أخرى تختلف - كثيراً أو قليلاً، إيجاباً أو سلباً - عن تلك القيم التي تعارف عليها مجتمع الكبار و الأجيال السابقة،

الشباب يستخدم تلك التقنيات" (يعرف عن تفاصيلها و خباياها أكثر مما يعلم الكبار). فهنا يظهر هاجس الخوف لدى الكبار على الصغار، لأن الكبار و نظراً لعدم تمكنهم من "تجنيدها مهارات التحكم" في التقنيات الحديثة للإعلام و الاتصال من أجل مراقبة استعمالها أو استخداماتها من طرف الصغار، يخشون أن يفقدوا "التحكم في سلوكيات و ممارسات الصغار" خاصة الأطفال و المراهقين (مجتمع الشباب).

إن تسليط نظرة أنثروبولوجية على المعاش اليومي للأفراد، و الاستماع الفعلي (l'écoute active) للخطاب المجدّد حول هذا المعاش يمكّننا من اكتشاف طرائق تعامل المجتمعات مع وسائل الإعلام [...] و أن الخطاب المسوّق حول "مخاطر و سلبيات" محتويات و مضامين وسائل الإعلام و الاتصال الجماهيرية، يترجم في الحقيقة مخاوف و هواجس المجتمع من فقدان النظام الاجتماعي المأسس لتوازنه، أكثر من تعبيرها عن حقيقة اجتماعية، معقدة متغيرة و متنوعة قد يطربنا سماعها.

فمفهوم "الاستخدام" يكشف لنا أن "الشاشات" يمكن أن تُعلّم، و تُربي الأفراد الفضوليين المحصّنين بتنشئة اجتماعية متينة؛ كما يمكن أن تجعلهم يتوقعون على ذواتهم، و ينساقون وراء الأفكار الساذجة أو الهدامة بالنسبة للأفراد ذوي التنشئة الاجتماعية الهشة¹⁸.

إن ما نريد التأكيد عليه هنا هو أن "عقول مجتمع الشباب ليست دائماً أوعية جاهزة للتعبئة، بكل مضامين وسائل الإعلام و الاتصال"، فهم يخلقون حواجز نابعة من مضامين رسائل و مضامين التنشئة الاجتماعية، أمام كل من يريد أن يتواصل معهم أو بالأحرى التأثير عليهم. و من هنا يتوجب على الباحثين إعادة مسألة مسلّمة عجز و استسلام مجتمع الشباب أمام التأثيرات السلبية لمضامين وسائل الإعلام. و يمكن في هذا السياق التساؤل عن جدوى أو دوافع تخصيص أموال كبيرة من أجل الإشهار (الجلد الإشهاري) الذي يهدف إلى جذب و تحفيز المشاهد على

للمجتمعات العربية رهانات على مستويات عدة، تتعلق بالهوية الثقافية التي تنطلق و تنأسس على الدين واللغة والتاريخ والأعراف الاجتماعية التي تتدخل بقوة و عنف أحيانا- في تأطير أو "تطبيع" (normalisation) السلوكات و الممارسات. فالأسرة و المدرسة كمؤسستين أوليتين في التنشئة الاجتماعية، تتكفلان بتلقين القيم الأساسية التي يقوم عليها النظام الاجتماعي، في حين تتكفل مؤسسات أخرى بمواصلة الفعل البيداغوجي للأسرة و المدرسة من خلال المثاقفة الدائمة²³. و هنا تُطرح المسألة بوجه آخر، لأن الأمر يتعلق بالتنافس على التأثير و الإسهام في إنتاج الرمزيات الاجتماعية أو "عالم الرمزيات المخيالية" (لدى كاسورياديس) و "نظام الفعل المؤسساتي" (لدى ألان تورين)؛ حيث يبدو أن المؤسسة الإعلامية (المُعولمة) لا تُسَلِّم مهمة الأسرة و المدرسة في العالم العربي.

3. المؤسسة الإعلامية و إيديولوجيا

المؤسسة السياسية (l'Etat):

في خضم الصراع أو عدم الاتفاق الذي يحدث بين مجتمع الكبار و مجتمع الشباب حول تأثير مضامين وسائل الإعلام و الاتصال، يجرننا Pierre Bourdieu إلى النظر إلى مسألة التأثير من زاوية تناول أخرى، و هي "هيمنة إيديولوجيا الأنظمة السياسية" على المجتمع ككل.

لقد أثار كتابه حول "التلفزيون و آليات التلاعب بالعقول"²⁴، جدلا كبيرا في الأوساط الصحفية و الإعلامية الفرنسية. و يمكن قراءة هذا العمل وفقا لمستويين: الأول يتعلق بالموضوع المباشر، و هو دور وسائل الإعلام الحديثة، والتلفزيون على وجه التحديد، في التلاعب و التأثير على عقول الناس، من حيث كيفية قيام هذه الوسائل بتشكيل و توجيه الأفكار و الوعي و الرأي العام... أما المستوى الثاني من القراءة، فهو يدعو إلى تعميق التأمل و التفكير في طبيعة المجتمع ككل. إذ يؤكد P. Bourdieu على أن المجتمع كآلة مركبة يخضع إلى أدوات الضبط و التحكم، بهدف توجيهه إلى استراتيجيات محددة،

المسؤولون كمؤطرين (instituant) عن تلقينها و نقلها إلى الشباب و المراهقين بصفتهم مؤطرين (Institués). في الواقع، فإن إفلات تكنولوجيات الاتصال الحديثة من تحكم الآباء في كثير من تفاصيل استخدامها و "عجزهم" عن التحكم فيها أو مراقبة استخدامها من طرف الشباب و المراهقين... هو ما يتسبب في قلق هؤلاء، عندما تُؤسّس هذه المؤسسة لمطالبة الشباب باستقلاليتهم و حريتهم في السلوك و عيش حياتهم على طريقتهم (الشباب هو نمط حياة).

قيمة الاستقلالية هذه، حتى و إن لم يتم ترسيخها في الممارسات الاجتماعية كقيمة فاعلة، فإنها على الأقل تبقى رهانا تدور حوله الصراعات و المقاومات بين جيل الكبار و جيل الشباب: "...فالآباء و المربون في العالم العربي ينظرون إلى مرحلة الشباب أو المراهقة بشيء من الاهتمام و الانشغال يصل إلى حد القلق، و ذلك لما يواكبها و تأتي به من مشكلات، على السواء بالنسبة للشباب ولأهله و للمجتمع... فبعد فترة طويلة نسبيا من النمو الهادئ غير الملحوظ و الاستقرار الانفعالي، يصبح الفرد (الشباب أو المراهق) "غير متزن" و "غير مستقر"، و لا يمكن التنبؤ باتجاهات تصرفاته، و غير قابل للانصياع: فهو متمرد [على كل شيء] على طلبات الأسرة و يرفض تحرياتها... غير متأكد من ذاته، يتعامل مع الكبار بشيء من الحساسية و قدروا ضح من العناد..."²².

يجد قلق الآباء و المربين تبريراته في الخشية من أن تؤدي الاستقلالية إلى استخلاف جيل يشبه المجتمعات الغربية (التي تصدر عنها التأثيرات السلبية)، في عاداتها و تقاليدها، يخشون على تفكك الأسرة و إفلات العلاقات بين الجنسين من الضوابط الدينية، و يخشون كذلك على مكانتهم ك "والدين"، التي ينصّ الدين (الإسلام) على طاعتها و الإحسان إليهما كواجب ديني مقدس.

مما تقدم في هذا العنصر، نرى أن وسائل الإعلام و الاتصال من خلال محتوياتها و مضامين الرسائل التي تحملها، أو بالأحرى المؤسسة الإعلامية من خلال استراتيجياتها و آليات اشتغالها، تجابه بالنسبة

كل أفراد و شرائح المجتمع، و تتحول إلى قضايا رأي عام، ثم يتحرك ليأتي بالحلول. الأخبار حول مثل هذه القضايا قد تشغل المجتمع عن النظر و التفكير و التواصل حول مواضيع أخرى هي أكثر أهمية بالنسبة له؛ في حين يتجنب النظام الخوض فيها من خلال تعويضها بمواضيع اجتماعية (دراماتيكية) تلامس المشاعر و العواطف و الأحاسيس، أو برامج التسلية و الترفية المفرغة من كل محتوى.

من جهة أخرى، فإن المؤسسة الإعلامية لا تخدم المشاهد من أجل الخدمة العمومية فقط، إذ أن الرهان هو في الحقيقة اقتصادي و تجاري بالدرجة الأولى²⁸، و بالتالي فإن وسائل الإعلام بصفة عامة تخدم مصالحها أولا و مصالح شركائها (مجموعة المساهمين من أصحاب المال)، فإذا امتلكت عائلات ما أو "لوبيات" قنوات تلفزيونية أو عناوين جرائد بعيدا عن تدخل الدولة المباشر، فإنها سوف تمتلك "السلطة أو" جزءا من السلطة"، فالصحافة تسمى "السلطة الرابعة".

هناك من الآراء و حتى من نتائج البحث التي قالت و تقول: "بأن الصحافة في الجزائر لا تمثل سلطة رابعة". نحن نعتقد عكس ذلك فهي سلطة رابعة بامتياز، و لكن السؤال هو: من يمتلك هذه السلطة فعليا؟ و من يفترض أن يمتلك هذه السلطة نظريا؟ البعض يعتقد أن السلطة الرابعة هي "ملك للشعب"، وهذا ليس أكيدا في الواقع، لأن السلطة الرابعة ملك النظام السياسي أو الدولة، من خلال ترسانة القوانين التي تؤطر المهنة، و من خلال السيطرة على الإشهار العمومي، و من خلال شرعية منح رخص النشاط للجرائد و القنوات الفضائية الجزائرية الخاصة²⁹... وهو ما يسميه هيربرت أ. شيللر "أسطورة التعددية الإعلامية" التي تصنع "وعيا مُعلَبًا"، يتم إنتاجه وتسويقه حتى عبر القنوات التي توصف بأنها مُعارضة... "حيث أن شرط التعددية الاتصالية الخالي تماما من أي تنوع، هو الذي يوفر أسباب القوة للنظام السائد لتعليب الوعي... فالفيض الإعلامي المتدفق عبر العديد من القنوات يخلق الثقة في -

حيث تقوم هذه الأدوات بإحكام السيطرة على المحاور و التروس و الحركات المختلفة داخل هذه الآلة (المجتمع). إن تشبيه المجتمع بالآلة يحيل إلى النظر إليه كنظام تم تصميمه و ضبطه لأداء وظائف معينة، و هو بهذا المعنى يتكلم عن "النظام الاجتماعي" و "النظام السياسي"... إلخ. فحسب تحليل P. Bourdieu فإن ما يقبع وراء اشتغال آلة المجتمع بشكل ما هو "منطق النظام" نفسه، و الذي شُيّد على أساس تكريس هيمنة الطبقة الحاكمة على الطبقة المحكومة. يشير منطق النظام هذا إلى الإيديولوجيا السائدة لدى النظام السياسي، في حين أن الموضوع المضمر الذي تناوله الكتاب كان يتعلق بتحليل علاقة الإيديولوجيا بالتكنولوجيا²⁵.

في ما يسمى اليوم "مجتمعات المعرفة"، يحظى أولئك الذين يملكون و يتحكمون في المعلومات بمفهومها الواسع بالهيمنة على أولئك الذين لا يملكون المعلومة، بل يطلبونها لأنهم في حاجة إليها. و لكن يمكن أن نرى في مجتمع المعرفة هذا، و الذي يقدم على أنه أرقى أنماط المجتمعات البشرية، أنه في الحقيقة "مجتمع مبرمج"، أو على الأقل قابل للبرمجة، مجتمع يتحكم فيه من يسيطرون على المعرفة عن بعد، مجتمع يخضع لتأثيرات وسائل الإعلام و الوسائط المتعددة، و أبعد من ذلك فهو خاضع للإيديولوجيا (السياسية) المهيمنة على هذه الوسائط.

توصل مصطفى مجاهدي في بحث بعنوان "الخطاب حول المواطن من خلال اليوميات الوطنية: الإنتاج و التلقي"²⁶ (من خلال يوميي الخبر و المجاهد)، إلى أن تبني المعنى الأكاديمي للمواطنة يواجه صعوبات في الاندماج في توجهات "يومية المجاهد" التي تفرض على نفسها تأويل معنى المواطنة بما لا يتعارض مع توجهاتها العامة²⁷. و بما أن المواطنة تتكلم عن الحقوق و الواجبات فإن الكتابة الصحفية تختار من المعاني ما يناسب أهدافها.

فالنظام السياسي في الجزائر قد يهمل -عمدا- بعض المشاكل و الآفات الاجتماعية حتى ينشغل بها

على الأقل وسائل الإعلام العمومية)، في هذا العالم المعلوم، تشكل -في الواقع- جزءاً لا يتجزأ من المؤسسة السياسية. و يعبر عن هذا تصريح نيكولا ساركوزي لجريدة L'express الفرنسية (2006): "...في السابق كان رجال السياسة يقومون بالفعل ثم يعلنون عنه، أما اليوم فهم يعلنون عن الفعل ثم يفعلونه..."³³.

خاتمة:

في نهاية هذه الورقة نود أن نشير إلى أننا حاولنا أن نضع بعض النقاط على الحروف، و نحن لا ندعي الإلمام بجميع جوانب الموضوع أو الاختصاص فيه، ولكن المغزى من العناصر التي وردت هو أن التفاعل الاتصالي أو ما نحبذ تسميته "التواصل الاجتماعي" في المجتمعات العربية على العموم، يواجه صعوبات في الربط بين الفاعلين الاجتماعيين عندما تشتد الاختلافات بينهم، في حين تستغل الأنظمة السياسية تلك الاختلافات.

فاختلاف الأجيال و التجارب الحياتية يجعل التواصل بين مجتمع الشباب و مجتمع الكبار لا يتم بسهولة تُسهّل نقل القيم و العادات و التقاليد، التي يُختلف حول تصورها من البداية. فمجتمع الكبار يرى في الثقافة ملجأ لتعزيز هوية الانتماء إلى المجتمع المحلي و الثقافة المحلية و الثقافة الأسرية بشكل يتم فيه النزول في دوائر الاجتماع البشري من الأعلى إلى الأسفل، أو من الدوائر الأكبر إلى الدوائر الأصغر التي تنتهي في شخص أو صورة "الأب"؛ في حين أن مجتمع الشباب يتخذ اتجاهها معاكساً فهو يتقبل الجديد و يبحث عن التغيير و الإثارة والمغامرة، يتوق إلى توسيع شبكة اجتماعه البشري إلى أبعد الحدود من الدوائر الأصغر إلى الدوائر الأكبر، خارج البيت، خارج الحي، خارج المدينة، خارج الوطن، إلى كل العالم.

ويضيف المصادقية على- فكرة الاختيار الإعلامي الحر (و الحقيقة أنه لا خيار لنا)، في الوقت الذي يتمثل فيه تأثيره الأساسي في توفير الدعم للوضع القائم"³⁰.

لقد أسهب هيربرت أ. شيللر في تحليل العلاقة الوطيدة (الحميمية) التي تربط الأنظمة السياسية بالمؤسسة الإعلامية (ممثلة في وسائل الإعلام و الاتصال) في الولايات المتحدة الأمريكية، و يرى أن "السلبية" هي الهدف النهائي لسياسة توجيه العقول.

وهو يعرف السلبية على أنها: "... حالة القصور الذاتي التي تعوق الفعل [...] حيث أنها تعزز و تؤكد الإبقاء على الوضع القائم... تتغذى على ذاتها، مدمرة القدرة على الفعل الاجتماعي الذي يمكن أن يغير الظروف التي تحد من الإنجاز الإنساني [...] على أن الأمر لا يقتصر على "التهديد البدني" الواسع النطاق لعدد لا حصر له من ملايين الأجساد؛ فتحجيم النشاط العقلي، والذي يمثل المحصلة النهائية للعدد اللانهائي من ساعات الإرسال المملوءة ببرامج "مُبلّدة" للعقول، يفوق أي حساب أو تقدير، [كما] لا يمكن حصر أو قياس التأثير "التسكيبي" الذي يتعرض له الوعي النقدي..."³¹. فالمؤسسة الإعلامية -حسب ريموند ويليامز- تدعو المشاهدين إلى الاحتفاء بالنظام و ممارسة خيارات هامشية في إطاره [في حين] أن شغله الشاغل هو إبعاد و [تحييد] الصراعات و السيطرة عليها، و توجيه المجتمع نحو تعريفات زائفة تعاد مرارا و تكرارا، بحيث تبدو كما لو أنها الشرط الوحيد للمعقولية؛ و تبدو الممكنات الأخرى، ليس ظاهريا فحسب، بل فعليا على المدى القصير غير عملية، و غير عملية للدرجة التي لا يستطيع الإيمان بصحتها سوى الشبان الصغار [...] فالقدرة على رسم حدود الواقع، و على وضع جدول الأعمال الاجتماعي للجماعة على وجه الإجمال، هي مفتاح السيطرة [الهيمنة] الاجتماعية"³².

بعيدا عن دائرة الصراعات الجيلية بين مجتمع الكبار و مجتمع الشباب، هناك دائرة أوسع يدور فيها الصراع بين الأنظمة السياسية و المجتمع (الطبقة المحكومة أو الشعب)؛ حيث أن المؤسسة الإعلامية (أو

العربية و الإسلامية، دار الورسم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2010.

(5) شيللر هيربرت، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، سلسلة علم المعرفة (106)، الكويت، 1999.

باللغة الفرنسية:

- 1) Pierre Bourdieu, Questions de sociologie, Paris, Minuit, 2002 : « La jeunesse n'est qu'un mot » pp 143-154.
- 2) Bourdieu Pierre, sur la télévision. Suivi de l'emprise du journalisme, Paris, Raisons d'agir, 1996.
- 3) Chevalier Jacques, Eléments d'analyse politique, Paris, PUF, 1985.
- 4) Medjahdi Mustapha, Le discours sur la citoyenneté à travers les quotidiens nationaux : production et réception, in Remaoun Hassan (s/dir), L'Algérie aujourd'hui : approches sur l'exercice de la citoyenneté, Oran, Eds CRASC, 2012, pp 53-74.
- 5) Pecolo Agnes, Médias, jeunesses et société : des usages et ces adultes, document téléchargeable à l'adresse : <http://www.ressourcesjeunesse.fr/Medias-jeunesse-et-societe-des.html>, consulté le 13/02/2016, à 19 : 57.
- 6) Wibrin Anne-Laure, « La construction sociale de médias dangereux pour la jeunesse. Des paniques morales aux quasi-théories », *Recherches sociologiques et anthropologiques* [En ligne], 43-1 | 2012, mis en ligne le 11 mars 2013, consulté le 13 février 2016. URL : <http://rsa.revues.org/843>.

مهما كانت آثار وسائل الإعلام و مهما كانت استعمالاتها أو استخداماتها، فإن "خطر السلبية" لا يشير إلى ما تحمله وسائل الإعلام و الاتصال من محتوى أو مضمون، و إنما يشير إلى تغلغلها في نفسية و أذهان الفاعلين الاجتماعيين، خاصة عندما يتعلق الأمر بالتنشئة الاجتماعية. فمجتمع الكبار مثل مجتمع الشباب يتأثر بأشكال و بدرجات مختلفة بمحتوى وسائل الإعلام و الاتصال، مما يجعلهم في وضعية "صراع" (معلن و مضمهر) حول رمزيات الحياة الاجتماعية، و قواعد السلوك و التعامل. و لكن المسألة تتجاوز كلا الطرفين، عندما نتحدث عن وسائل الإعلام و الاتصال كمؤسسة اجتماعية (المؤسسة الإعلامية)، لأن أطرافاً أخرى تدخل في اللعبة -من وراء الكواليس- لتؤثر ليس فقط على الأفراد، و إنما على العلاقات بينهم و على المؤسسات الاجتماعية المكلفة بها. فالدولة، و التي ينظر إليها غالباً في العلوم الاجتماعية العربية كمرادف للنظام (الأنظمة) السياسي(ة)، تأتي على رأس باقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية كـ "بنية سامية" (une super-structure) لتؤطرها في اتجاه تلقين مجتمع الشباب: "قيم يجب أن يفكر"، عوضاً عن تعليمه "كيف يفكر، و كيف يعبر".

ببليوغرافيا مختارة:

باللغة العربية:

- (1) بورحلة سليمان ، أثر استخدام الإنترنت على اتجاهات الطلبة الجامعيين، مذكرة ماجستير، قسم علوم الإعلام و الاتصال، جامعة بن خدة بن يوسف، الجزائر، 2007.
- (2) بورديو بيير ، التلفزيون و آليات التلاعب بالقول، ترجمة و تقديم درويش الحلوجي، دمشق، دار كنعان للنشر و التوزيع و الخدمات، 2004.
- (3) حجازي عزت ، الشباب العربي و مشكلاته، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، سلسلة علم المعرفة (6)، الكويت، 1985.
- (4) عزي عبد الرحمان ، بومعيزة السعيد ، الإعلام و المجتمع: رؤية سوسيولوجية مع تطبيقات على المنطقة

¹ من أجل الدلالة على هذه الفئات الثلاث سوف نستعمل في كثير من الأحيان مصطلح "مجتمع الشباب"، و يشمل الفاعلين الذين يتلقون "دروس التنشئة الاجتماعية"، في حين سوف نستعمل مصطلح "مجتمع الكبار" للدلالة على كل الفاعلين القائمين على تلقين دروس التنشئة الاجتماعية (الأولياء و الفاعلون في الأسرة، الفاعلون في قطاع التربية و التعليم، القائمون على وسائل الإعلام...). فالتفاعل بمناسبة تأثيرات وسائل الإعلام قائم بين مجتمع الشباب و مجتمع الكبار: الكبار غاضبون من تمرد الشباب، و الشباب ناقدون من قيود الكبار!!.

² ليس هناك إجماع على تعريف موحد للشباب بين مختلف تخصصات العلوم الاجتماعية: فهناك من يعتبرها فئة عمرية،

⁶ Agnes Pecolo, *Médias, jeunesse et société : des usages et ces adultes*, document téléchargeable à l'adresse :

<http://www.ressourcesjeunesse.fr/Medias-jeunesse-et-societe-des.html>, consulté le 13/02/2016, à 19 :57.

⁷ Anne-Laure Wibrin, op.cit, p 1.

⁸ أليس هناك في ما يُلقن للطفل والشباب من أصول التصرف والسلوك و المعاملة الكثير من الأخطاء؟ هذه الأخطاء التي تحولت بفعل انتشارها على نطاق واسع في طرائق تربية الأبناء، وإعادة إنتاجها المستمر إلى أصول أو قواعد يتم تلقينها دون نقاش أو مساءلة أو إعادة تفكير. ممن و أين يتعلم الطفل الكذب مثلاً؟ هل يكتشفه فقط عندما يلتقي بأقرانه في المدرسة أو الشارع، وأقرانه هؤلاء الذين تعلم عنهم الكذب، ممن و أين تعلموه أول مرة؟ أليس لمجتمع الكبار والأسرة و الأب و الأم يد في ذلك؟ ألا يحدث للأُم أن تعطي شيئاً (برتقالة...) لأحد أولادها و تطلب منه ألا يخبر أحداً من إخوته؟! ألا يحدث أن يعتاد الأب على إعطاء كيس الحلوى لابنة الأصغر (ابن واحد وسط البنات)، ليُقسّمه [على هواه] على أخواته البنات، ثم يستغرب الناس من عدم عدله أو احترامه لقواعد أو كوطات تقسيم الميراث (المعروفة شرعاً و قانوناً)!!!!؟

⁹ أنظر في هذا الصدد: سليمان بورحلة، أثر استخدام الإنترنت على اتجاهات الطلبة الجامعيين، مذكرة ماجستير، قسم علوم الإعلام و الاتصال، جامعة بن خدة بن يوسف، الجزائر، 2007.

¹⁰ فعلى سبيل المثال نجد أن "الشارع" يمثل في الوسط الحضري بالنسبة للشباب فضاء غير مشغول، تنعدم فيه مؤسسات الدولة و سلطة الضبط و المنع الرسمي، يتسنى لهم فيه أن يتخلصوا من ذلك العنف أو "الكبت" المستبطن لديهم، مسقطين إياه على ما يمثل أو يرمز إلى الدولة أو النظام أثناء الاحتجاجات و المظاهرات... و يمثل لهم كذلك خلاصاً من الفضاء الخاص الضيق، و انفتاحاً على الفضاء العام الأوسع، الذي يحقق لهم الشعور بامتلاك جزء من الحياة الاجتماعية. وربما لأن الشباب في الجزائر و الوطن العربي عموماً، يكتشف خلال مراحل حياته أن "العنف هو جزء أو مادة أساسية" يتم تلقينها على طول صيرورة التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها كطفل في فضاء الأسرة و كتلميذ في المدرسة و كشاب في الفضاء العام.

¹¹ تمكننا مشاهدة الأفلام و المسلسلات من التعرف على جوانب كثيرة من حقيقة أو حقائق مختلف الفاعلين الذين تتفاعل معهم. فالفاعلون الاجتماعيون في الواقع مثل الممثلين في الأفلام، يقومون بتأدية أدوار حفظوا سيناريوها و يتقمصون شخصياتها دونما أن يسهموا في بناء الأدوار.

و هناك من يعتبرها فئة اجتماعية، و هناك من يعتبرها ثقافة قائمة بذاتها في كل المجتمعات؛ و هناك من يعتبرها نمط حياة... أنظر، على سبيل المثال:

Pierre Bourdieu, *Questions de sociologie*, Paris, Minuit,

2002 : « La jeunesse n'est qu'un mot » pp 143-154.

³ إن الميدان الذي انطلقنا منه في صياغة هذه الإشكالية مع فرضيتها هو البحوث التي قدمها طلاب السنة الثانية ماستر تخصص علم اجتماع الإعلام و الاتصال، من خلال تدريسنا لمقياس "وسائل الإعلام و الاتصال و التنشئة الاجتماعية"، منذ سنة 2013، و مقياس "علم اجتماع المؤسسات" باية من 2016. لقد لاحظنا في البداية أن الطلاب يركزون في بحوثهم على التأثير السلبي لوسائل الإعلام و الاتصال على الأطفال و المراهقين و المرأة بالدرجة الأولى، و يدافعون عن ذلك باستماتة كبيرة. ثم لاحظنا أن جل المراجع التي يستعملها الطلاب في بحوثهم تدعم هذه الفكرة، بل تذهب إلى دق ناقوس الخطر، و التحذير من المخاطر على الأطفال و المراهقين و النساء، و يقدمون في النهاية توصيات و حلولاً لهذه المشكلة من قبيل: حماية الأطفال من التعرض للتلفاز، و تقنين تعامل المراهقين مع الأنترنت، و تأطير المرأة دينياً و حمايتها من الآثار السلبية للمسلسلات التركية و عادات و تقاليد المجتمعات الغربية...

⁴ Anne-Laure Wibrin, « La construction sociale de médias dangereux pour la jeunesse. Des paniques morales aux quasi-théories », *Recherches sociologiques et anthropologiques* [En ligne], 43-1 | 2012, mis en ligne le 11 mars 2013, consulté le 13 février 2016. URL : <http://rsa.revues.org/843>, p 1.

⁵ في هذا السياق يقول عزت حجازي، (الشباب العربي و مشكلاته، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، سلسلة علم المعرفة (6)، الكويت، 1985، ص 16): "و ما يُعقد تأثير الظروف الموضوعية -الاجتماعية و الحضارية- أن طرفي المشكلة، أي الجيلين الذين تجمعهما الأزمة يتصارعان بمركب نقص -بمعنى ما- في كل منهما. فالكبار -الآباء و المربون و المسؤولون- ينظرون إلى الصراع على أنه يرمي إلى استلاب الأرض التي كسبوها و استقروا عليها طويلاً، و أنه إدانة صريحة لأهدافهم و قيمهم و أساليب عملهم، بل و تشكيك في جدوى كل مشروعاتهم. أما الشباب فإنهم يعانون من غموض هويتهم، ينكرون أنهم صغار و يصرون على أنهم تجاوزوا مرحلة الطفولة، و لكنهم يجدون أنهم غير مسموح لهم بعضوية عالم الكبار بعد، فهم هامشيون. و يزيد من تعقيد الأزمة، أن الكبار لا يستطيعون أن يتخلصوا في تناولهم لها من تواريخهم الشخصية [حنا ما كناش هكذا]، و من ثم تنعكس مشكلات ارتقايتهم و متاعيمهم و طموحاتهم و إخفاقاتهم على فهمهم لها، و تصورهم لأساليب حلها، و جديتهم في السعي لإزالة أسبابها.

تحمل الجانب المعرفي، وقد يحدث أن يُستغل المعرفي في نقل الإيديولوجي من خلال مضامين الكتاب المدرسي. في هذا المقام نشير إلى مشاريع بحث CRASC، اهتمت بالموضوع تحت إشراف حسن رمعون حول مضامين كتب التاريخ في الطور الثانوي، و أحمد كرومي -رحمه الله- حول المعرفي و الإيديولوجي في الكتاب المدرسي.

¹⁶ عبد الرحمان عزي، السعيد بومعيزة، المرجع السابق، ص 267.

¹⁷ نفس المرجع السابق، ص 335. اعتمد المؤلفان هنا على

المصادر:

• Coralie Picault, « Usages et pratiques de recherche des utilisateurs d'une banques d'images... », et,

• Joëlle Le Marec, « L'usages et ses modèles : quelques réflexions méthodologique »..., et,

• Dictionnaire de sociologie, Paris, Seuil, 1999, p 556.

¹⁸ Agnes Pecolo, op.cit, p 2.

¹⁹ Ibid, p 3.

²⁰ "... و حتى عهد قريب، تمثل رد فعل جيل الكبار في العالم العربي لرفض الشباب لقيمهم و تمردهم عليهم أحيانا، في الانزعاج الشديد و الإدانة الحادة على أسس أخلاقية ... و تخلف الباحثون -الأفراد و أجهزة البحث المتخصصة- طويلا عن الاهتمام بأزمة جيل الشباب، و لم يتحركوا إلّا حين بدا نشاط الشباب يأخذ أشكالا تنطوي على "خطورة" [...] إلّا أن هذه التحليلات لم تصل إلى أعماق أزمة جيل الشباب في المنطقة العربية...". أنظر: عزت حجازي، المرجع السابق، ص 10.

²¹ للاستزادة حول موضوع المؤسسات الاجتماعية، أنظر:

Jacques Chevalier, *Eléments d'analyse politique*, Paris, PUF, 1985 : (Chapitre III : L'analyse institutionnelle, pp 179-237).

²² يستدرك الكاتب بعد هذا بالقول: "... غير أن من أهم عوامل الإشكال في وضع جيل الشباب، هو أننا كثيرا ما نحكم على قيمهم وتصرفاتهم لا بالمعايير التي تتناسب مع مرحلة العمر التي يمرّون بها، وإنما بالمعايير نفسها التي نستعملها في تقييم حياة الكبار...". أنظر: عزت حجازي، المرجع السابق، صفحات 8-10.

²³ تمتلك المؤسسات الاجتماعية نطاقات تدخل و كفاءة و تقنيات تأثير مختلفة و عنيدة، و من هنا تظهر الشبكة متناضدة "المؤسساتية متمفصلة على شكل سلال أو "أدراج"، تتدخل واحدة تلو الأخرى من أجل تغطية كل (cascade) الفضاء الاجتماعي و تصحيح فشل إحداها من طرف الأخرى، لأنه لا يمكن أن تقوم مؤسسة اجتماعية واحدة بالرقابة الكاملة و الدقيقة على سلوكات كل أعضائها، التي تُظهر في كل

فالتنشئة الاجتماعية تعد هؤلاء للقيام بأدوار تم إعدادها مسبقا (des rôles préconstruits)، في غيابهم و حتى قبل أن يولدوا... لذا فهم يعرفون أن العادة سارت على أن يكون دور الأب كذا، و يكون دور الأم كذا، و يكون دور المعلم كذا... و عندما تصادفهم مواقف كذا، فإن رد الفعل يكون هكذا و ليس هكذا...

¹² عبد الرحمان عزي، السعيد بومعيزة، الإعلام و المجتمع:

رؤية سوسيولوجية مع تطبيقات على المنطقة العربية و

الإسلامية، دار الورسم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2010، ص 271.

¹³ في تحليله لأحداث أكتوبر 88 بالجزائر، يرى امحمد بوخيرة: "أن انقلاب التراتبية الاجتماعية ترافق مع انقلاب في التراتبية الثقافية، بالمساس بقداصة القيم و المعايير الاجتماعية القاعدية الضامنة لتناسق المجتمع. حيث تصبح الدولة في المنطق الاجتماعي للطبقات المتوسطة ذات نزعة زبونية تفضيلية، تعمل على تكريس مبادئ التنظيم التقليدي القائم على أساس روابط الأسرة و العشيرة و الانتماء الجهوي... و التي يفترض أن تخضع إلى سلطة القانون، و القانون فوق الجميع [...] و لكن المفارقة الناتجة هو أن نفس هذه الطبقات المتوسطة، حلت هي الأخرى وافدة على الفضاء الحضري... ما أثار الحديث عن ظاهرة "أريفة المدينة"- بكل ما تحمله من ثقافة تقليدية، حيث اعترضها إشكال عدم قدرتها على الانخراط الكامل في الثقافة الحضرية، بل بقيت تعاني آثار الاجتثاث و التجاذب - لدى أطفالها بالخصوص- بين قيم الأصال و التقليد في الأسرة و قيم المعاصرة و التحديث في المدرسة. فأطفال هذه الطبقات -الذين أصبحوا شبابا في الثمانينات- صادفوا صعوبات في التكيف مع الحياة الحضرية، بداية مع الحياة المدرسية، ثم الحياة المهنية - بعد تسربهم من المدرسة- نظرا لعدم توافرهم على شهادات أو مؤهلات مهنية تسمح لهم بالاندماج في سوق العمل الرسمي. هذه الوضعية ترتب عنها اختلال للعلاقات مع الأسرة أولا، و انقطاع لهؤلاء عن المؤسسات الرسمية للتنشئة الاجتماعية و الثقافة ثانيا. فاحتضنهم الشارع كفضاء حر لتطبيق حلولهم المبتكرة ملء فراغهم النفسي و الزمني، من خلال العمل غير الرسمي..." أنظر : M'hammed Boukhoubza, *Octobre 88, évolution ou rupture*, ENAG, Alger, 1991, pp 149-152

¹⁴ عبد الرحمان عزي، السعيد بومعيزة، نفس المرجع السابق، ص 267.

¹⁵ على افتراض أن هناك تطابقا و تكاملا بين القيم الملقنة في الأسرة و القيم الملقنة في المدرسة، لأن الأمر ليس كذلك دائما. فالكتب المدرسية تحمل في طياتها الجانب الإيديولوجي كما

مرة انحرافات جديدة، و بالتالي يجب أن تتضمن المؤسسات الاجتماعية مع بعضها البعض بأن تأخذ المؤسسة الأعلى في التراتبية الهرمية المشعل من المؤسسة التي تقع تحتها و التي أخطأت هدفها في ضبط السلوك الاجتماعي للأفراد. في نهاية الصيرورة نجد مؤسسات "آخر ملجأ" (المؤسسات العقابية، أو المؤسسات الإستشفائية في الأمراض العقلية)، التي تقوم بعزل وحبس الانحراف الذي لم يتم توقيفه، من أجل تجنب انتشار العدوى في باقي النسيج الاجتماعي. يهتم التحليل المؤسسي بإعادة تشكيل مسار هذه السلسلة المؤسسية التي تطوق الجسد الاجتماعي وتشكل في مجموعها مسارات التنشئة: Jacques Chevalier, op.cit, p 196-197. أنظر:

²⁴ Pierre Bourdieu, *Sur la télévision. Suivi de l'emprise du journalisme*, Paris, Raisons d'agir, 1996.

²⁵ بدير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالقول، ترجمة و تقديم درويش الحلوجي، دمشق، دار كنعان للنشر والتوزيع و الخدمات، 2004، ص 22-23.

²⁶ Mustapha Medjahdi, « Le discours sur la citoyenneté à travers les quotidiens nationaux : production et réception », in Hassan Remaoun (s/dir), *L'Algérie aujourd'hui : approches sur l'exercice de la citoyenneté*, Oran, Eds CRASC, 2012, pp 53-74.

²⁷ Ibid, p 71.

²⁸ أنظر: هيربرت أ. شيللر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، سلسلة علم المعرفة (106)، الكويت، 1999.

²⁹ لتأمل في مفارقة القنوات الجزائرية الخاصة تطبق عليها قوانين إعلام الدول أجنبية التي توجد بها محطات بثها الرئيسية، الأردن، بريطانيا... إن ما يسمى فتح المجال الإعلامي في الجزائر هو في الحقيقة غلق لذات المجال، حين نجد الخطوط الافتتاحية للكثير من الجرائد و القنوات الخاصة متشابهة إلى حد كبير، تتكلم نفس اللغة و تنقل نفس الأخبار، و تناقش نفس المواضيع، أحيانا بنفس المحللين (fast thinkers) بتعبير (P. Bourdieu)، و بنفس الطريقة "الحجب من خلال العرض!!"

³⁰ هيربرت أ. شيللر، المرجع السابق، ص 28.

³¹ المرجع السابق نفسه، ص 36 و ما بعدها.

³² المرجع السابق نفسه، ص 179-180.

³³ عبد الرحمان عزي، السعيد بومعيزة، نفس المرجع السابق، ص 367.